

أبو جعفر النحاس

وكتابه:

القطع .. والائتناف

عرض : الدكتور أحمد محمد الخراط



عالم وكتاب

ويحتاج هذا العلم إلى دراية خاصة
بالمباحث التالية :

١ - القراءات :

من المعلوم أن كتاب الله قد نُلي على وجوه متعددة ، منها : ما هو متواتر ، ومنها : ما هو شاذ ، وكانت هذه القراءات تستقي من لغة العرب وأشكال التعبير فيها ، وتعتمد لغة العرب في أدائها على وظيفة الحركة الإعرابية آخر الكلمة ، وأحكام الوقف والابتداء مظهر واضح من مظاهر اختلاف الأداء الوظيفي للحركة الإعرابية . وعُني النحاس في كتابه بربط مواضع الوقف والابتداء بمذاهب القراء فكان يُبيِّن أن التمام عند هذا القارئ عند ذلك اللفظ ، أما القارئ الآخر فكان يستأنف ليوافق الاستئناف قراءته مثال ذلك قول النحاس :

« ... قال يعقوب : من الوقف قول الله جل وعز : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٣٥) . ثم قال مبتدئاً مخبراً : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ (مريم: ٣٦) فكسر (إِنَّ) على الابتداء . ومن قراء ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ ﴾ [قرا ابن كثير ونافع وابن عمرو يفتح همزة « أُنْ » والباقون بكسرها . السبعة : ٤١٠] ففتح ، عطَّفه على ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالرُّكَاةِ ﴾ (مريم: ٣١) ، وبأن الله ربي وربكم .

قال أبو جعفر :

إذا كسر فالقول كما قال . وإذا فتح فقوله كقول الفراء : إنه معطوف ، ولا يكفي الوقف على « فيكون » ، وكذا على قول أبي عمرو لا يكفي الوقف على « فيكون » ، لأنه يقدره بمعنى : « وقضى أن الله ربي وربكم » ، وعلى قول الخليل وسيبويه يكفي الوقف على « فيكون » ، لأن التقدير عندهما : ولأن الله . وعلى قول الكسائي يكفي الوقف على

المؤلف :

أبو جعفر محمد بن إسماعيل النحاس النحوي المصري ، رحل لطلب العلم إلى بغداد ، حيث كانت تزخر بالعلماء آنذاك ، وأخذ هناك عن مشايخ النحو الذين يشار إليهم بالبنان من مثل : السُّجَّاج والأخفش الأصغر وابن كيسان ، (بغية الوعاة : ١/ ٣٦٢) ، كما اتجه إلى تنويع ثقافته ، فأخذ عن النسائي علم الحديث (الوافي بالوفيات : ٧/ ٣٦٢) . وعُرف عن الرجل كثرة الشيوخ فقد وصفه الزبيدي في طبقاته (ص: ٢٣٩) بقوله :

« ... كان واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف ، لم تكن له مشاهدة ، فإذا خلا بقلمه جود واحسن » ، وزادت مؤلفاته على الخمسين ، طبع منها : إعراب القرآن ، القطع والائتناف ، الناسخ والمنسوخ ، شرح القصائد ، شرح أبيات سيبويه . توفي الرجل سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة .

الكتاب

القطع معناه الوقف : وهو قطع الكلمة عما بعدها وجوباً أو جوازاً ، كما أفاض في شرحه القراء وبيَّنوا أنواعه . أما الائتناف فهو الابتداء والائتناف ، وقد استخدم النحاس في كتابه عدة مصطلحات لأنواع الوقف ، منها التام أو التمام والكافي والحسن والتبحيح .

■ ■ يعبر كثير من مؤرخي

الغرب عن دهشتهم إزاء

كثرة المؤلفات التي تركها

العلماء المسلمون حول

القرآن الكريم ، حيث

أقبلت الأجيال تلو الأجيال

على دراسته وبيان أوجه

العظمة في ثناياه . والواقع

أن كتاب الله لا يزال

يستحق المزيد من التعمق

في درره وعلومه وأفاقه لكي

لا يكون تعاملنا معه

مقصوراً على التقدير

العاطفي ، وإنما ينبغي

أن يكون هذا التقدير

مبنياً على أسس العلم

والفهم والإدراك ..

وفي هذه الصفحات

سندرس كتاباً من كتب

التراث التي بحثت علماء من

علوم القرآن وهو كتاب

« القطع والائتناف »

للنحاس .. ■ ■

■ إذا أراد المسلم أن يستقي من كتاب الله ما ينفعه كان لابد له أن يفهم ارتباط أول اللفظة بآخرها وعلاقة الجملة التالية بالأولى ■

■ لا يقوم بالتمام إلا نحوي عالم بالقراءة عالم بالتفسير عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض عالم بالغة التي نزل بها القرآن ■

• فيكون ، لأن تقديره : « والأمر أن الله ربي وربكم » (القطع والانتناف : ٤٥٤ - ٤٥٥) .

٢ - تفسير المعاني :

نزل كتاب الله ليخاطب العباد بتوجيهاته وأوامره ونواهيه : وإذا أراد المسلم أن يستقي منه ما ينفعه كان لابد له أن يفهم ارتباط أول اللفظة بآخرها ، فأين الأول وأين الآخر ؟ وما علاقة الجملة التالية بالأولى ؟ اتفهد منطوقاً جديداً أم أنها ترتبط بسابقتها .. وما مدنى هذا الارتباط ؟ إن أبا جعفر يبين كل أولئك ويوضح ارتباط أحكام الوقف بالمعنى ، ويعلل ذلك ، ويشير إلى آراء العلماء ، حيث كان قرئ أحكام الوقف والابتداء صدق لاختلافهم في معاني الآيات الكريمة ، وقد يكون حكم الوقف مما اتفقوا عليه . قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴾
(التوبة: ١٩) ، ثم قال :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٢٠) . قال النحاس :

« ... والتمام : ﴿ ... وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ ﴾ (القطع والانتناف: ٣٦٠) .

٣ - مذاهب الفقهاء :

اختلف الفقهاء في كثير من القضايا الفقهية ، ومضى كل فريق منهم يحاول أن يدعم مذهبه بآيات القرآن الكريم ، ويوجه سير هذه الآيات توجيهاً يوافق فهمه ، فيقرر الوقف على تلك اللفظة والاستئناف بما بعدها ، بينما يستأنف آخرون حيث وقف الأولون .

وأبو جعفر - وإن لم يرض في بيان تفاصيل احتجاج المدارس الفقهية - يشير إلى ذلك بعبارات موجزة ، بحيث لا يخرج عن موضوعات كتابه .

٤ - النحو :

تُعَدُّ مباحث الوقف والابتداء لصيقة بأحكام النحو والإعراب ، حيث إنها الثمرة الدانية التي يجنيها الواعي البصير بهذه الأحكام ، فهذا هو المبتدأ الذي لا يجوز الوقف على ما بعده من كلمات لأن خبره لم يأت ، وهذه الجملة الواردة بعد هذه الكلمة استثنائية ، لذا كان على القارئ أن يقف على تلك الكلمة ، وهذا الجار والمجرور خبر فالوقف عنده ، وإن أعربناه حالاً من المبتدأ فلا يجوز الوقف عنده لأن المبتدأ لم يستكمل خبره . وهكذا يمضي أبو جعفر مع أقوال النحاة ومذاهبهم ليعلل ما يكون ثمرة لهذه المذاهب في أحكام الوقف والابتداء . وتبدو شخصية أبي جعفر واضحة في ثنايا الكتاب حيث كان يضعف بعض الآراء في الوقف ويستدل على ذلك التضعيف بقواعد النحو الصناعية .

مقدمة الكتاب :

بدأ أبو جعفر كتابه بالحض على قراءة القرآن قراءة مرتلة على مكث ، وبيّن أن معنى الترتيل في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقْنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل: ٤) التبيين ، ومن التبيين : تفصيل الحروف ، والوقف على ما تم معناه منها ، والابتداء بما يحسن الابتداء به ، وتبيين ما يجب أن يجتنب من ذلك . (ص: ٧٢) ، ثم قال :

« ... وهذا الكتاب نذكر فيه التمام وما كان الوقف عليه كافياً أو صالحاً ، وما يحسن الابتداء به وما يجتنب من ذلك ، وبيّن ضرورة هذا العلم وطريقة سرده للمعلومات «... ونؤلفه سورة سورة ، وبعد المقدمة يذكر فضائل القرآن وأمله واختار من الأحاديث ما لم يكن مطروح الأسانيد ، لأن الفضائل قد كثر فيها

ما هو مطروح الإسناد » . ثم ذكر صفة قراءة النبي ﷺ وإنكاره الوقف على غير تمام :

« عن عدي بن حاتم الطائي قال : جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ فتنشأ أحدهما فقال : « من يطلع الله جل وعز ورسوله فقد رشد ومن يعصهما ، فقال رسول الله ﷺ : بنس الخطيب أنت ، فقم ، كان ينبغي أن تصل كلامك : ومن يعصهما فقد غوى ، أو تقف على رسوله فقد رشد » .

قال النحاس :

« ... فإذا كان هذا مكروهاً في الخطب وفي الكلام الذي يكلم به بعض الناس بعضاً كان في كتاب الله عز وجل أشد كراهة » (ص: ٢٨) ، ثم ذكر مذاهب الصحابة والتابعين في الوقف والابتداء وما يحتاج إليه من حَقِّ النظر في التمام فيروي عن مجاهد أنه كان يقول : « لا يقوم بالتمام إلا نحوي عالم بالقراءة ، عالم بالتفسير ، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن » (ص: ٩٤) . ثم ذكر مصادر هذا العلم من كتب القراء : كنافع ويعقوب ، وكتب النحاة : كالأخفش والفراء ، وذكر أسانيد ما في الكتاب ، فقال مثلاً : « كل ما قلنا فيه : قال نافع فإننا كتبناه عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله يرويه عن إسماعيل بن عبد الله وأشعث بن سهل عن أحمد بن محمد عن نافع بن أبي نعيم » (ص: ٩٩) . ثم يعرض أحكام الوقف والابتداء في سورة الفاتحة فالبقرة فأل عمران إلى نهاية القرآن الكريم .

قامت وزارة الأوقاف العراقية بطباعة الكتاب في مجلد كبير يقع في أربعين وتسعمائة صفحة بتحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .